

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي
ط.د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال الفنان "رشيد طالبي".

Orientalist method in Algerian plastic art A semiotic study of a sample of the artist's works Rashid Talibi'

ط.د بوقزولة مفيدة*¹ د. قاسم بوزيد²

1- جامعة صالح بونيندرق سنطينة 03 (الجزائر)، moufida.boukazoula@univ-constantine3.dz

2- جامعة صالح بونيندرق سنطينة 03 (الجزائر)، bouzid.kacem@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/04 تاريخ القبول: 2022/12/03

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تأثر الفن التشكيلي الجزائري بالأسلوب الاستشراقي من الناحية التقنية والجمالية، وكذا من ناحية المواضيع الاجتماعية والثقافية المعالجة بطريقة فنية استشراقية، وذلك من خلال البحث في طرق وأهداف التعبير عن هذه المواضيع في الأعمال الفنية التشكيلية الجزائرية؛ ولتحقيق هذا الهدف اعتمدنا على منهج التحليل السيميولوجي- مقارنة "لوران جيرفيرو" وتطبيق مراحلها على العينة القصصية المختارة من أعمال الفنان "رشيد طالبي" بغية الكشف عن دلالات الرموز الاجتماعية وعناصر الثقافة الجزائرية التي تتضمنها.
الكلمات المفتاحية: أسلوب؛ استشراق؛ فن تشكيلي؛ رشيد طالبي؛ سيميولوجيا.

Abstract:

This study aims to reveal how Algerian plastic art has been affected by oriental art in technical and aesthetic terms, as well as in terms of social and cultural issues by seeking ways to express these subjects in the works of Algerian plastic arts. To achieve this objective, we relied on the semiological analysis method of "Laurent Gerveiro" and we applied the steps of this approach to a set of works by the artist "Rachid Talbi" in order to reveal the social symbols and elements of Algerian culture that are linked to Orientalism.

Key words: Style, Orientalism, plastic art, Rashid Talibi, Semiology

* المؤلف المرسل: ط.د بوقزولة مفيدة

مقدمة:

إن اهتمام الغرب بالعالم الشرقي لم يكن بدوافع فضولية بريئة أو علمية نبيلة إنما كانت تحمل في طياتها أهدافا استعمارية توسعية، حيث تعد الرحلات والبعثات الاستشراقية من بين أبرز المحطات التاريخية والعلمية والفكرية في التاريخ؛ نظرا لأهمية اكتشاف العالم الشرقي والإحاطة بمختلف أسرارهِ وخصائصهِ، ومن الصعب تحديد البدايات الأولى للاستشراق بفترة زمنية دقيقة إذ أن البعض يرجعه لأيام الوجود الاسلامي في الأندلس، في حين يعيده البعض الآخر إلى أيام الحروب الصليبية ولكن ما هو متفق عليه فإن الاستشراق اللاهوتي الرسمي بدأ عند صدور القرار الكنسي في فيينا سنة 1312 وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.(قرناب، 2018)، إذن فالاهتمام الأول بالعالم الشرقي كان مخططا له منذ أمد بعيد يسبق الحملات الاستعمارية والتوسعية التي اشتهرت بها فرنسا على وجه الخصوص.

لعل أبرز مظاهر الاستشراق كان على المستوى الأدبي والفني تحديدا؛ فقد انتشرت بعض الممارسات الخاصة والأساليب الجديدة التي ميّزت الأعمال الفنية لأبرز رواد المدرسة الرومنسية في فرنسا وذلك راجع للبيئة الجديدة التي يتعامل معها الفنان المستشرق، وبما أن هذا المجال -نقصد الفن- يتميز بنوع من المرونة فإنه يؤثر ويتأثر، ونذكر على سبيل المثال الفن التشكيلي الجزائري الذي كان موجودا ومميزا قبل الاستعمار والمعروف بثرائه وتنوعه، والذي تأثر بالكثير من العوامل إبان الاستعمار واستمر ذلك حتى العصر الحالي.

فمن خلال هذه الورقة البحثية نسعى لمعرفة كيف تأثر الفن التشكيلي الجزائري بالأسلوب الاستشراقي، ومعرفة المضامين التي طرحها وأي الدلالات التي تحملها تلك الأعمال وعليه نطرح السؤال الموالي:

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط.د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

كيف تأثر الفن التشكيلي الجزائري بالأسلوب الاستشراقي؟ وما الدلالات التي

تحملها العناصر الموظفة في الأعمال التشكيلية الاستشراقية الجزائرية؟

4- منهجية البحث والأدوات المستخدمة:

إن طبيعة دراستنا الهادفة إلى الكشف عن كيفية تأثر الفن التشكيلي الجزائري بالأسلوب الاستشراقي، من الناحية التقنية والجمالية وكذا تحديد دلالات المواضيع الاجتماعية والثقافية المعالجة بطريقة فنية استشراقية، تقتضي الاعتماد على المنهج السيميائي واتباع مقاربة "لوران جيرفيرو".

عمل "لوران جيرفيرو" على تبسيط العملية التحليلية وفق علم السيميولوجيا الذي يتقاطع في كثير من النواحي مع مجال الفنون البصرية بحكم تداخل المصطلحات وكذا توظيفاتها في مختلف ميادين الفنون البصرية؛ حيث اعتمد في بناء شبكته التحليلية على ثلاث مراحل أساسية: الوصف (الجانب التقني، التشكيلي، الموضوع، بيئة اللوحة، وعلاقة الفنان باللوحة)، وكمرحلة ثانية القراءة التضمنية التي تحمل قراءة تأويلية لدلالة العناصر التشكيلية الموظفة، ثم يبين نتائج التحليل كمرحلة أخيرة. (تريكي، 2021)

5- مجتمع وعينة الدراسة

تتطلب طبيعة دراستنا وأهدافها الرامية إلى تحديد كيفية تأثير الفن الاستشراقي في الأعمال التشكيلية الجزائرية المعاصرة؛ بالإضافة إلى الكشف عن دلالات العناصر التشكيلية الموظفة في أعمال الفنان "رشيد طالبي" العمل بالعينة القصدية وذلك باختيار اللوحة التشكيلية "فانتازيا سيدي علي" كنموذج تحليلي لدراستنا، نظرا لكون هذا الفنان من بين المؤسسين الأوائل للمدرسة الاستشراقية في الجزائر وتعد أعماله مجسدة للأسلوب الاستشراقي بصفة دقيقة.

6- مفاهيم الدراسة:

1-3 مفهوم الأسلوب:

ورد في المعجم العربي أن الأسلوب يعني: "طريقة أو مذهب. فيقال مثلا أسلوب في معالجة هذه المشكلة يختلف عن أساليبهم أو يقصد به طريقة الكاتب في الكتابة تختلف عن آخر" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون والعلوم، 1989) والأسلوب هو: «المزية النوعية للأثر الفني والذي يجب أن يتميز به الفنان وكذلك شخصيته عن غيرها من الأساليب والشخصيات، إن الأسلوب في جوهره عمل لا يتعلق بذاته فحسب فهو يرتبط بماهية الفكر والمعرفة" (جبر، 2016)

أما فيما يتعلق بالأسلوب الخاص بفنان ما فيقول عبد الحميد شاكر: "الأسلوب الخاص بفنان ما والمتميز يتطلب الخبرة والوعي الفكري والثقافي لاسيما التعلم عن طريق الطبيعة وأعمال الفنانين الآخرين لأن الكثير من الفنانين يتأثرون بما يرونه ويتأثرون بأعمال من سبقوهم وممن عاصروهم" (شاكر، 1989)
إن توظيف جملة من اللمسات التقنية التي تميز نوعا معينا من الفنون بطريقة محترفة مع إدخال بعض التغييرات التي تتناسب والفكر الثقافي وأهداف الفنان هو ما يجعل العمل الفني أكثر تميزا.

2-3 مفهوم الاستشراق:

يعرف الاستشراق لغة على أنه: "مصدر من الفعل السداسي استشرق وأصله (ش ر ق) والألف والتاء والسين إذا أسبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب وعلى هذا فالاستشراق هو "طلب الشرق" (فتح الله، الاستشراق وأهدافه ووسائله، 2002)
أما فيما جاء في معجم المعاني الجامع فيعرف بالاستشراق: "استشرق (فعل سداسي لازم)، يستشرق، استشراقا، ويقال له بحوث في الاستشراق، مادة اختصاص علماء الغرب باللغات والآداب والمعارف الشرقية" (معجم المعاني الجامع)

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط.د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

يحدد محمد فتح الله معنيين للعالم الشرقي، فالأول عام يطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، أما في معناه الخاص فهو كل من يشتغل بالدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وتاريخه وعقائده وآدابه، وبما أن معنى الاستشراق ارتباط في مفهومه بالعلم والدراسات والبحوث فيمكن القول أنه ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضاراته ولغاته وثقافته[...] ويمثل الاستشراق الوليد الطبيعي للثقافة التي تنتجها، لذلك لا يستطيع لا يستطيع أي مستشرق أن يتناول موضوعاته دون أن يخضع للقوالب والحدود الفكرية التي يصعب عليه الانفلات منها.(فتح الله، 1998)

من خلال ما سبق نجد أن الاستشراق بمفهومه البسيط هو اهتمام علمي وفكري باكتشاف ودراسة العالم الشرقي الإسلامي أو مجتمعات الشرق الأوسط والمغرب العربي وفق نظرة ومرجعيات وإيديولوجيات غربية بحتة، وهذه الدراسات شملت مختلف المجالات خصوصا تلك الثقافية والفنية وهذا راجع لعدة أسباب سنقف عندها في العناصر الموالية

7- الأسلوب الاستشراقي في الفن:

إن لظهور الاستشراق دوافع عديدة شملت مختلف الفنون والآداب ولعل أبرز حركة تأثرت بشدة كانت الرومنسية فقد "جاء الاستشراق الرومنسي في الفن كرد فعل على الواقع و(اغتراب)، و (تمرد)، (ازدواجية) في الشخصية الفنية ومثالية غيبية وانتقائية دفعت باتجاه إسباغ صفة المثالية على الشرق والتمثل به، وقد جاء الاستشراق الرومنسي جامعا الأسطورة والواقع، الحلم والحقيقة، الرمز والحال التاريخ والمعاصرة، مع غلبة الشق الأول في أكثر الأحيان. كما يعد الاستشراق الرومنسي في الفن عبارة عن

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط. د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

مرحلة انتقالية بين الاستشراق التقليدي والحديث في صوره وموضوعاته وأفكاره." (بيطار، 1992)

8- الاستشراق الفني في البلاد العربية والجزائر:

ربما يعد السبب الرئيس في وجود الفن الغربي في البلاد العربية " [...] إلى الحملة الفرنسية على مصر؛ حيث جلب نابولون بوناپرت معه مجموعة من العلماء والكتاب والرسامين الذين رسموا وسجلوا مناظر شرقية من مصر وبدأت بذلك فكرة الاستشراق في الفن، وبدأ توافد الفنانين الغربيين على البلاد العربية الفريدة بمناظرها العابقة بالسحر والجمال وأبرزهم "أوجين دولاكروا" (مردوخ، 1988) تعددت أهداف الفنانين الذين قصدوا الشرق فنجد مثلاً "شاسريو" قصده بغية البحث عن "اللون والشكل" والوصول إلى دراسات جديدة للألوان والظلال؛ أما الفنان "يوجين فرومنتان" فقد قصده بحثاً عن مصادر جديدة للصورة والشكل الحي واعداد نسق جديد لتفاعل الألوان (مردوخ، 1988)

إن كلا من الفنانين "شاسريو وفرومنتان" وضع مرحلة تشكيله الابداعي تحت تأثير "نظرية الفن للفن" التي يعتبر رائدها والأب الروحي للاستشراق الظاهري نهاية ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي الشاعر تيوفيل غوتيه الذي رفع شعار "الشرق بدلا من روما" (بيطار، 1992)

إن هذا الشعار جاء دلالة على كمية الغنى الابداعي وثراء وتنوع المصادر الملهمة للفنان الأوروبي في الشرق والتي تحفزه على تطوير أساليبه الفنية والوصول إلى إبداعات فنية أصيلة؛ تماما كما كانت روما سابقا محجا الفنانين من كل بلدان أوروبا والعالم نظرا لتطور الفن فيها وغناها.

تشير الدراسات إلى أن اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالجزائر يعود إلى عهود سابقة أي قبل الاحتلال إلا أن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 هي التي فتحت

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط.د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

المجال واسعا أمام هذه الفئة لاكتشاف الجزائر ومن بين هؤلاء الفنانين "دي لاكروا" الذي كان لزيارته القصيرة للجزائر أثر كبير في الفنون التشكيلية بلوحتة "نساء الجزائر في مخدعهن" والذي صور من خلالها نساء في بيتهن في جو أسطوري مشابه لحكايات ألف ليلة وليلة حيث تسوده لمسة خيالية سحرية تصور حياة البذخ والترف التي يتميزون بها (بن التومي، 2019) إن زيارات الفنانين للجزائر تختلف حسب توجهاتهم وأهدافهم؛ ويمكن تحديد أبرز الدوافع التي ساهمت في الاستشراق الفني في الجزائر:

- الدافع الديني ارتبط بهدف جمع مختلف المخطوطات المسيحية القديمة وحتى المخطوطات غير المسيحية لكنها تعبر عن الشرق ومعتقداته وأفكاره،
- السبب الاستعماري ويعد الأهم الأسباب حيث كان الهدف من الرسم تسجيلي وتبشيري؛ حيث أن الأعمال المنجزة والموجهة لأوروبا كانت ذات وظيفة اعلانية اغرائية تحفز الأوروبيين على الهجرة للمستعمرات الشرقية والاستقرار فيها؛ في حين كانت الرسومات الموجهة للسكان الأصليين للمستعمرات فكانت تبشيرية أو هادفة لتحسين صورة الاستعمار في نظرهم (بن التومي، 2019)

شيدت فرنسا عدد من المعاهد والمدارس الخاصة بالفنون والتي كان مرتادها من المعمرين وكذلك بعض الجزائريين، حيث "تخرج بعض الرسامين الجزائريين القلائل من هذه المدارس والبراسم وانتشرت بذلك على أيديهم أساليب المدرسة الغربية، ومن خلال المعارض المقامة أثر ذلك على انتشار الذوق الفني الغربي في البلاد الجزائرية" (مردوخ، 1988) ومن أبرز المنتمين لهذه المدارس محمد راسم والذي حاول المنزج بين الأساليب الغربية والفنون الإسلامية ويعد أول من أدخل المنظور وطبق قواعده الدقيقة في المنمنمات الجزائرية، أما الأسلوب الاستشراقي الذي يتميز بألوانه القوية ومواضيعه المعالجة للمناظر الطبيعية والحياة الاجتماعية فتميز في ذلك كل من "ايتيان دينيه

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط.د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

(ناصر الدين دينيه)، "ميلود بوكروش" و"حسين زيان" بالإضافة إلى "رشيد طالبي" الذين أسسوا المدرسة الاستشراقية الجزائرية وأبدعوا أعمالاً فنية رصينة.

9- تحليل لوحة «fantasias» "فانتازيا حسب مقاربة" لوران جيرفيو"

الصورة (01): "فانتازيا سيدي علي Fantasia sidi Ali"



المصدر: موقع Facebook بتاريخ 2021/09/28.

أ. الوصف

1. الجانب التقني

1.1 اسم الفنان: رشيد طالبي؛

2.1 عنوان العمل: "فانتازيا سيدي علي Fantasia sidi Ali"

3.1 تاريخ الانجاز: سنة 2011؛

4.1 نوع الخامة: زيت على قماش؛

"الأسلوب الاستشرافي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي
ط.د. بوقزولة مفيدة
د. قاسم بوزيد

5.1 الشكل والحجم: اللوحة مستطيلة الشكل أبعادها (80/100cm).

2. الجانب التشكيلي

1.2 عدد الألوان ودرجة انتشارها

تغطي العمل الفني مساحة ضبابية لونية تحيط بموضوعه الرئيس، مكونة من ثلاثة ألوان رئيسية تمثلت في اللون البني القاتم في الأرضية، الأصفر المائل للبرتقالي، الأزرق الفاتح في الخلفية وعلى الجوانب المحيطة بمجموعات الفرسان.

أما موضوع العمل فشكلته ستة ألوان، نلاحظ انتشار اللون الأبيض والرمادي بشكل كبير نظرا لكونه جزء من لباس الفرسان والجياد التي يمتطونها، اللون البني الداكن برز في أربعة مواضع فنجد في أرضية الميدان، الجواد الذي يتوسط المجموعة الأولى الظاهرة في المستوى الأول، كما برز في المجموعتين في المستوى الثالث للوحة؛ أما سروج الأحصنة المزينة بزخرفة فظهرت باللون الأصفر تارة واللون الأحمر تارة أخرى، كما نجد الأصفر علامة مميزة قبعات جميع الفرسان (الشاش)، كما نلاحظ توظيف اللون الأخضر بشكل أقل في ثياب بعض الفرسان وتكرر في موضعين فقط.

الصورة (02): توضيح الألوان السائدة في لوحة فانتازيا سيدي علي.

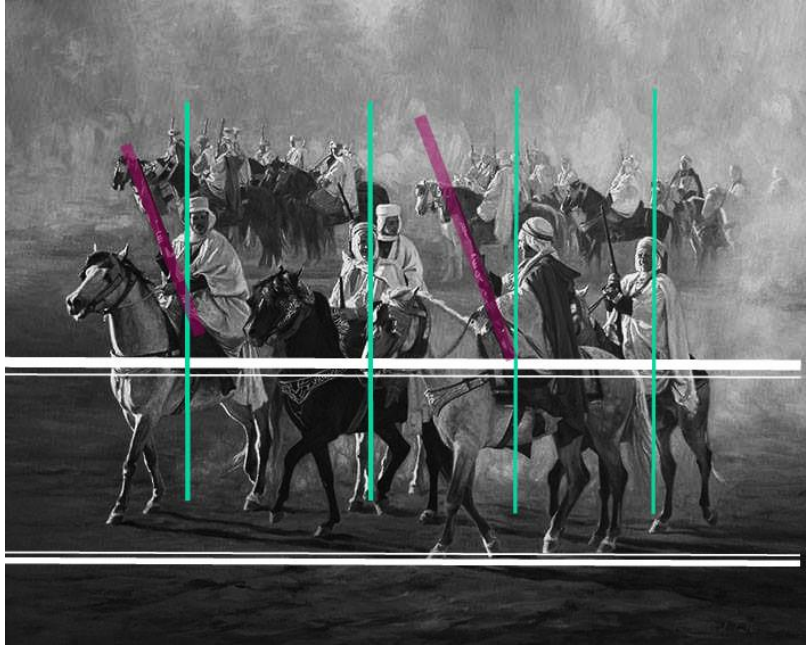


المصدر: تم استخراج الخارطة اللونية باستخدام تطبيق Color harmony.

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي
ط. د. بوقزولة مفيدة
د. قاسم بوزيد

2.2 التمثيل الأيقوني والخطوط

طغى حضور العنصر البشري والحيواني في هذا العمل الفني في مستوياته الثلاثة، على حساب الأشكال الهندسية التي نجدها أشكالاً غير منتظمة وذات نهايات حادة تجسدت في سروج الأحصنة والبنادق، أما الأشكال ذات النهايات المرنة والدائرية فظهرت على قبعات (شاش) الفرسان. إن هذه العناصر هي ما يشكل الخطوط التي تبني العمل الفني، فنلاحظ أن أغلب الخطوط المستقيمة الأفقية والعمودية وحتى المائلة كانت نتيجة وضعيات ومواضع الفرسان والأحصنة، أما الخطوط اللينة الانسيابية والدائرية كانت نتيجة تشكل اللباس وطبقاته المختلفة وكذا عضلات الأحصنة البارزة. الصورة(03): توضح الخطوط السائدة في لوحة فاننازيا سيدي علي.



المصدر: اعداد مجموعة البحث بالاعتماد على برنامج فوتوشوب.

3. الموضوع

1.3 علاقة اللوحة/ عنوان

إن عنوان هذا العمل الفني "فانتازيا سيدي علي" يرتبط بصفة مباشرة وموضوع اللوحة؛ حيث نلاحظ في هذا العمل "الواقعي" نقلا لمشهد من مشاهد العروض الفنتازية التي تعد جزء من ثقافة المغرب العربي وبالتحديد الجزائر المتميزة بتنظيمها لمهرجانات خاصة بهذه الاحتفاليات التي تعد محاكاة لمظاهر الحروب القديمة والحاملة لأبعاد تاريخية، رمزية ودلالية تعكس طبيعة البيئة التي نشأت فيها والتي سنتعرض لها في الجانب التضميني من هذا التحليل..

2.3 الوصف الأول لعناصر اللوحة

نلاحظ في المستوى الأول من اللوحة "فانتازيا سيدي علي" مجموعة مكونة من خمسة فرسان يمتطون جيادهم، يرتدون لباسا تقليديا يطغى عليه اللون الأبيض والأصفر وبعض الأجزاء الأخرى بالأخضر والأصفر. يظهر على يسار اللوحة الفارس الأول على ظهر حصان رمادي، يلبس برنوسا أبيضاً مائلا إلى الصفرة ويحمل بيده يحمل الفارس بيده اليمنى بندقية موجهة نحو الأمام ويمسك بالأخرى؛ موجهها رأسه نحو اليمين باتجاه الفارسين اللذان يتوسطان اللوحة، حيث يظهر الأول كاملا على حصانه البني أما الفارس الثاني فيظهر رأسه وجزء من الحصان، أما الفارس الرابع الذي يرتدي وشاحا أخضر فيظهر موجهها رأسه للخلف حيث البقية، في حين نجد الفارح الأخير على أقصى اليمين ينظر بابتسامة ومشاركة في الحديث الذي يدور بين الخمسة.

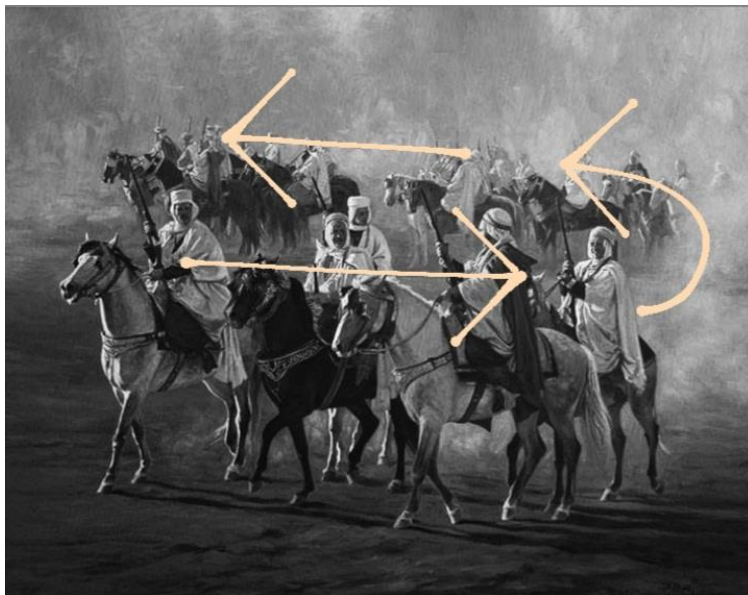
إن الضبابية الكثيفة المنطلقة من أقصى يمين اللوحة وتحديدًا في المستوى الأول منها تقود عين المتأمل تدريجيا نحو المستوى الثاني أين يتواجد جمع من الرجال ومجموعتين من الفرسان واحدة تتقدم الأخرى بمسافة قصيرة نوعا ما، أما المستوى الثالث فكان عبارة عن لطخات لونية وكأنها غبار متطاير من أرضية الميدان الترابية والذي يغطي عناصرها كلما ابتعدنا عنه، وفي الصورة أدناه توضيح لكيفية انتقال عين المتأمل في اللوحة.

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط. د. بوقزولة مفيدة

د. قاسم بوزيد

الصورة (04): توضح كيف تنتقل عين المتأمل في اللوحة.



المصدر: اعداد مجموعة البحث.

● الإضاءة

كانت الإضاءة قوية في هذه اللوحة طبيعية المصدر، منطلقة من أعلى يسار اللوحة باتجاه موضوع العمل والمتمثل في الفرسان الخمسة؛ حيث تظهر مختلف التفاصيل الخاصة بهيئة الفرسان؛ في حين تنتشر بدرجات أقل لتغطي مختلف العناصر في المستويات الأخرى.

الصورة (05): توضيح مصدر الإضاءة في اللوحة.



المصدر: اعداد مجموعة البحث باستخدام برنامج Photoshop express.

II. بيئة اللوحة

أ. الوعاء التقني والتشكيلي الذي وردت فيه اللوحة

إن الخصائص التقنية والمواضيع المعالجة في الأعمال الفنية تمكننا من تصنيف الأعمال حسب التيار أو المدرسة التي تنتمي لها، وكما هو ملاحظ في لوحة "فانتازيا سيدي علي" للفنان الجزائري "رشيد طالبي" تناولها لمشهد واقعي يتميز باستخدام دقيق ومدرّس للإضاءة التي تبرز مختلف التفاصيل الدقيقة المميزة للأشكال المكونة لموضوع العمل (الفرسان)؛ كما أن اللمسة الضبابية التي تغطيها تجعل المتلقي يندمج ذهنيا مع العمل في محاولة منه في اكتشاف ما وراء ذلك الضباب والغبار معتمدا على مخيلته.

إن هذه الخصائص تجعلنا نحكم بكون هذا العمل ينتمي للواقعية المفرطة التي تعرف على أنها: "مشابهة وتمثيل لواقع مستحدث [...] وأبرز خصائصها استكشاف الواقع وإعادة قراءته وانتاجه، بالدمج بين الواقع والخيال حتى تتلاشى الفوارق بينهما الأمر الذي يتطلب مستوى رفيع من التمكن الفني. وهذا ما ميز العمل من تفاصيل دقيقة وثرأ لوني. كما أن هذه اللمسة الاستشراقية من خلال تصويره لمشهد مميز للثقافة الجزائرية ومجسد بطريقة جعلت الموضوع المعالج والمحتوى متطابقان.

II. علاقة اللوحة/ فنان

اهتم الفنان رشيد طالبي بإعادة رسم مجموعة من لوحات الفنانين المستشرقين؛ حيث اعتبر هذه المهمة كتحد له من أجل إظهار لمسته الفنية فكان يؤمن بأنه أولى من المستشرقين بهذه الطبيعة وموضوعاتها باعتباره ابن البيئة الذي اشتغل عليها المستشرقون في إنجاز لوحاتهم الفنية؛ وبالتالي هو أكثر قدرة على التعبير عنها بالطريقة الأصح. (بن التومي، 2019) إن موضوع "الفانتازيا" تمت معالجته من قبل العديد من الفنانين المستشرقين كأوجين دولاكروا في لوحته "Arabe fantasias" وكذا الفنان أوجين فرومونتان، وحتى بعض الفنانين الجزائريين المنتمين للمدرسة الاستشراقية الجزائرية وأبرزهم الفنان "حسين زياتي" في لوحته مهرجان الفانتازيا.

ما ميّز لوحة "فانتازيا سيدي علي" للفنان رشيد طالبي تصويره لجزئية خاصة من الفانتازيا عكس من سبقه بتصوير الفرسان في حالة حركة اندفاعية تنافسية، أو في حالة هجوم ورمي، إنما نقل لنا مشهدا مميزا لحالة الفرسان الخمسة في حالة سكون يجمعهم جو مرح تسود روح البهجة والبسمة البادية على محياهم، وهذه السمة مميزة لأسلوب "طالبي" حيث يولي اهتماما كبيرا بابرار التفاصيل الدقيقة ونقله للمواضيع الواقعية التي تحمل مدلولات أعمق من مجرد حدث، حيث أن أغلب أعماله وخصوصا

"الأسلوب الاستشراقي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالي

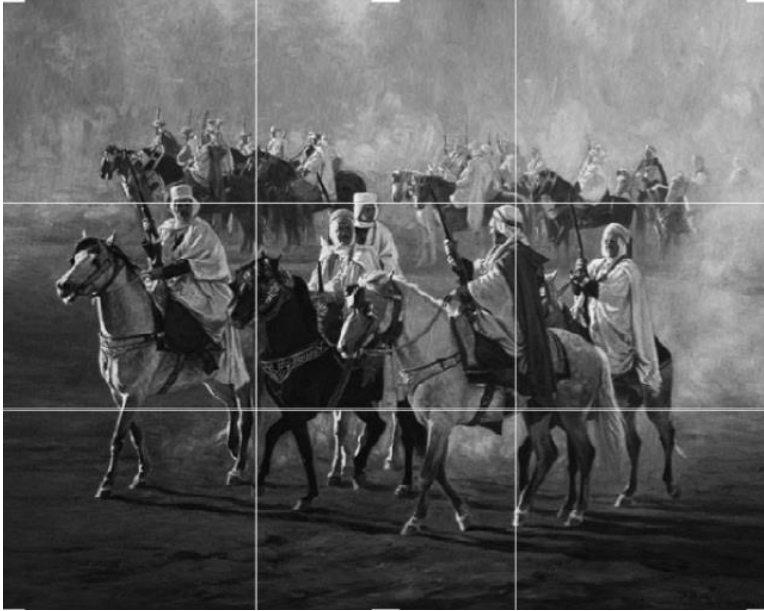
ط.د. بوقزولة مفيدة

د. قاسم بوزيد
هذا العمل يكون مزودا بجملة من العناصر التي تختزل مظاهر اجتماعية وثقافية تعبر
عن الهوية الثقافية الجزائرية.

III. القراءة التضمينية

إن الموضوع الذي اختاره الفنان "رشيد طالي لوضع الفرسان الخمسة كان في النقاط
الذهبية للوحة وهي النقاط التي تجذب عين المتأمل بصفة كبيرة وتجعله يدقق ويركز
على محتواها وما عزز هذا الأثر كان استخدام الإضاءة الطبيعية من أعلى يسار اللوحة
بشدة كبيرة والموجهة نحو الموضوع مباشرة وكأنه بذلك يحاول كشف حقيقة ما خلف
هيئة الفرسان البادية في اللوحة، أو التركيز على أهمية الحدث والفاعلين فيه.

الصورة(06): إبراز موضع العنصر الأساسي في اللوحة.



المصدر: اعداد مجموعة البحث.

لو رجعنا إلى سياق التاريخي للفانتازيا لوجدنا أنه مزيج مركب من جملة من
الممارسات التي توارثها الشعب الجزائري بداية من تأثرهم بالفروسية النوميدية،
فالعربية وحتى التركية، فكل حضارة تركت بصمتها وأضفت خصوصية على الفانتازيا

"الأسلوب الاستشرافي في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة سيميولوجية لعينة من أعمال رشيد طالبي

ط. د. بوقزولة مفيدة د. قاسم بوزيد

ومظاهرها، وحتى من حيث وظيفتها ففي البداية كانت عبارة عن ممارسة عسكرية، ثم أصبحت نوعا من النشاط الاحتفالي الترفيهي، حاليا تعد مزيجا بين محاكاة للحروب وتعبيرا عن الفرحة في المناسبات الاجتماعية الشعبية.

وفي الكتابات الفرنسية نجد أن الفرنسيين هم من أدخل تقنيات الفانتازيا بالصفوف أو ما يطلق عليه اسم "العلفة" وتخلوا عن الفانتازيا الفردية التي ينطلق فيها الفارس لوحده وقد شكلت العلفة اضافة ممتازة للفانتازيا من خلال التناسق بين الفرسان في الجري وإطلاق البارود (بوقطوطة، 2015)

إن الألوان المستخدمة في هذا العمل الفني والتي طغى عليها الطابع الترابي، والألوان الحارة القوية تحمل دلالات ورمزية خاصة فاللون السائد والذي يغطي ثلاثة أرباع العمل والمتمثل في اللون البني، والذي استعمل مطابقة لما يمثل "الأرض" التي تحمل مدلولات الانتماء والاستقرار، وقوة الأصل ومنبت الحضارة.

أما اللون الأبيض الأكثر بروزا وتمييزا للباس الفرسان، والذي يوجي بالطهر ورفعة المكانة والقدسية، فالفروسية والفانتازيا لها مكانتها المقدسة في المجتمع الجزائري فهي تحمل كل معاني الشجاعة والرجولة، وغالبا ما تتميز بشكلها المتكامل من ثياب خاصة بها تعكس تمسك الرجل بوطنه وهويته وثقافته فكلها عناصر تشكل مقومات هويته. أما اللون الأحمر الذي ارتبط بالخيال فيعبر اللون على الانتماء، الشجاعة، الريادة والقيادة والتحدي.

إن الخطوط المستقيمة التي شكلتها وضعيات ومواضع العناصر التشكيلية في هذا العمل الفني جاءت بدلالات متنوعة فالعمودية منها تحمل معنى الشموخ والرفعة والرقى والمكانة العليا خصوصا عند ارتباطها بالفرسان، والأفقية التي تمثل الأرضية ووضعيات الخيول تحاول منح شعور بالاستقرار والثبات والأمان.

إن للخيول مكانة خاصة في كل الحضارات والعرب على وجه الخصوص استعملوا الخيل كرمز للقوة والشجاعة والنبيل، حتى أنهم وظفوها في أشعارهم وتناقلوها في أمثالهم، أما على المستوى التشكيلي العالمي فيقول لحسن ملواني: "ولأن الخيول حيوية المنظر حتى في سكونها، فقد باتت مفردة تشكيلية قابلة للتجريب الإبداعي، وإبراز عمق أفكار ورؤى متعددة، فقد رُمز بها إلى التّور والشمس، وإلى القوة والجمال والحب والوداعة والبطولة، وبذلك تربعت الخيول بمظهرها الجميل والرامز على لوحات الفنانين عبر كل العصور. فقد فرضت نفسها على كل المدارس التشكيلية من كلاسيكية ورومانسية وتعبيرية وواقعية وغيرها مما جعلها أيقونة حيوية لها من الجمالية ما يجعلها تجذب اهتمام المبدعين ليس في التشكيل وحسب (ملواني، 2018)

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره نتوصل إلى مجموعة من النقاط تتمثل في:

- أن تأثر الفنون التشكيلية الجزائرية بالفن الاستشراقي كان بارزا بصفة كبيرة على المستوى التقني من خلال طريقة استخدام اللون بنوع من الضبابية خاصة عند توظيفه في خلفية اللوحة، وبمسحة توحى بنوع من الخيال وتضفي لمسة سحرية جمالية على العمل الفني؛

- بالرغم من معالجة الفنان " رشيد طالبي لموضوع الفانتازيا والتي سبق وأن تم التطرق لها من قبل المستشرقين الأوروبيين إلا أن نظرتهم لها والمبدأ الذي انطلق منه والهدف الذي يصبو إليه يختلف تماما؛ فهدفه محاولة إبراز معالم الهوية الثقافية والتعبير عن جمالية الطبيعة الجزائرية وكل ما تحمله من ممارسات بطريقته الخاصة؛
- إن استعمال الخيل كعنصر معبر عن طبيعة المشهد المجسد في لوحة فانتازيا كان له أبعادا جمالية ورمزية أخرى كالتعبير عن الشهامة والقوة والبطولة وحتى ألوانها التي ظهرت بها فذلك تعبير عن التنوع الكبير لها باعتبارها ثروة وطنية.

المراجع والمصادر:

1. إبراهيم مردوخ. (1988). *الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
2. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (1989). *المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية وتعليمها*. لاروس.
3. حمزة تريكي. (2021). *الخطوات المنهجية في التحليل السيميولوجي للأعمال الفنية المعاصرة*. مجلة سيميائيات، 17 (1)، 193-194.
4. زينبات بيطار. (1992). *الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي*. الكويت: عالم المعرفة.
5. عبد الحميد شاكر. (1989). *العملية الإبداعية في فن التصوير*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
6. عبد الرؤوف قرناوب. (2018). *المرساة الاستشراقية في الجزائر*. مجلة العلوم الإسلامية والحضارة (8)، 467.
7. علي بن التومي. (2019). *ظاهرة الاستشراق في الفن التشكيلي الجزائري، دراسة وتحليل بعض النماذج الفنية*. 95. قسم الفنون.
8. علي رؤى جبر. (2016). *تنوع الرؤية الأسلوبية في الرسم العراقي المعاصر*. مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، 24 (2)، 763.
9. لحسن ملواني. (2018). *رمزية وجمالية الخيل في الفن التشكيلي*. تم الاسترداد من <https://www.alquds.co.uk/%EF%BB9%8%D8%B83%D9%8A%D9%84%D9%8A>
10. مبروك بوقطوطة. (2015). *مقدمة في تاريخ الفانتازيا*. مجلة الفكر المتوسطي (9).
11. محمد فاتح الله. (1998). *الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون* (الإصدار 1). دار قتيبة.
12. محمد فاتح الله. (2002). *الاستشراق وأهدافه ووسائله* (الإصدار 2). دار قتيبة.
13. معجم المعاني الجامع. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%82>